ولها مكاتبات إلى جماعة من الأدباء والأعيان والأكابر، ومن ذلك أن الشهاب المنصوري كتب إلى الزين سَالم ببيتين هما: [من الطويل]

أيا سَيّداً قد أحْسَن الخالق اسْمَهُ وجَمَّله واللَّه بالخلقِ عَالمُ
أعِنْ بيدٍ فيها أيادٍ لسائلٍ وَلا تَخْشَ حُسَّاداً فإنَّكَ سَالمُ

فقالت صاحبة الترجمة في هذا المعنى ارتجالاً: [من الطويل]

أيا سَيّداً عمَّ الخلائقَ برُّهُ وإحْسانُه فَرْضٌ تَضاعَفَ لَازمُ
أعنْ سائلاً يأتيكَ والدمعُ سائلٌ ولا تَخْشَ مِنْ سوءٍ فإنَّكَ سَالمُ

وكان ذلك بحضرة جماعة من الأدباء ففضلوا ما قالته على ما قال الشهاب، واعترف الشهاب بذلك. واستمرت على نظم الأدب، ومدح أرباب الرتب حتى ماتت في سنة ٩٤١ إحدى وأربعين وتسعمائة بالقاهرة، ودفنت بالقرافة.

(٣٦٠)
(فَرَجُ بن بَرْقُوق الجَرْكَسي الملقَّب الناصر)[1]

ولد سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة في أيام الفتنة التي وقعت لوالده حسبما تقدم في ترجمته فسماه فرجاً. استقر في السلطنة بعهدٍ من أبيه إليه بعد موته في شهر شوَّال سنة (٨٠١) وسنه دون عشر سنين. واختلف مماليك أبيه عليه، وجرت له حروب مع المؤيد شيخ فانهزم هذا وفرَّ على الهجن إلى دمشق، فدخلها وتحصَّن بقلعتها، فتبعه شيخ ومن معه فحاصروه إلى أن نزل إليهم بالأمان فاعتقل، وذلك في صفر سنة (٨١٥). واستفتوا العلماء فأفتوا بوجوب قتله لما كان يرتكبه من المحرمات والمظالم والفتك العظيم، فقتل في ليلة السبت سابع عشر شهر صفر المذكور. وكان سلطاناً مهيباً فارساً كريماً فتّاكاً ظالماً جباراً منهمكاً على الخمر واللذات طامعاً في أموال الناس. وقد كان خُلع في سنة (٨٠٨) بأخيه المنصور عبد العزيز نحو شهرين ثم أعيد في جمادى الآخرة منها، وأمسك أخاه فحبسه ثم قتله. والعجب أن هذا السلطان المشتمل على هذه الأوصاف هو المحدث للمقامات في بيت اللَّه الحرام التي كانت سبباً لتفريق الجماعات واختلاف القلوب والتباين الكلي في أشرف بقاع الأرض فإنا للَّه وإنا إليه راجعون. وليس العجب من صاحب الترجمة فإنها إحدى مساويه وجهالاته، ولكن العجب من تقرير من بعده لذلك، وسكوت العلماء إلى الآن. وقد ذكر قطب الدين الحنفي في الإعلام ما يدل على أنه أنكر هذه المقامات علماء ذلك

(١) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ١٤٠؛ الضوء اللامع: ٦/ ١٦٨.

العصر فقال في ترجمة السلطان سليم خان سلطان الروم ما لفظه: إن تعدد المقامات في مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بإمام ما أجازه كثير من العلماء وأنكروه غاية الإنكار في ذلك العهد، ولهم في ذلك العصر رسالات متعددة بأيدي الناس إلى الآن، وإنّ علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك، وخطَّأوا من قال بجوازه. انتهى.

(٣٦١)

(فَضْلُ اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد الرزَّاق بن إبراهيم ابن مَكانِس المجد ابن الفخر المصري القبطي الحنفي المعروف بابن مكانس)

ولد في شعبان سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة ونشأ في عزٍّ ونعمة في كنف أبيه، فتخرّج وتأدّب ومهر ونظم الشِّعر وهو صغير جدّاً، فإنَّ أباه كان صحب البدر البشتكي فانتدبه لتأديبه فخرَّجه في أسرع مدة، فنظم الشعر الفائق وباشر في حياة أبيه توقيع الدست بدمشق. وكان أبوه وزيراً هنالك. ثم قدم القاهرة فلمّا (مات) أبوه ساءت حاله. ثم خدم في ديوان الإنشاء وتنقلت رتبته فيه إلى أن جاءت الدولة المؤيدية فامتدح المؤيد بقصائد فأحسن القاضي ابن البارزي السفارة له عنده بحيث أثابه ثواباً حسناً. وشعره في الذروة العليا وهو أحد المجيدين من المتأخرين مع قلّة بضاعته في العربية، ولذلك يقع له اللحن نادراً. وقد جمع ديوان أبيه ورتبه. ولأبيه فيه موريا باسمه: [من الطويل]

أرى ولـدي قَـدْ زَادَه الـلَّـه بـهـجـةً ... وكمَّله في الخَلْقِ والخُلقِ مُذْ نَشَا[1]
سَـأشْـكُـر ربّـي حـيـنَ أوتـيـتُ مِـثْـلَـهُ ... وَذلك فَضْـلُ الـلَّـه يُـؤتـيـه مَـنْ يَـشَـا[2]

ومن نظْم صاحب الترجمة مُهنِّئاً لأبيه بعوده من سفر: [من الكامل]

هُـنّـيـتَ يـا أبـتـي بـعَـوْدِكَ سَـالـمـاً ... وَبـقـيـتَ مـا طَـرِدَ الـظَـلامَ نَـهـارُ
مُـلِـئـتْ بُـطـون الـكـتـبِ فـيـكَ مـدايـحـاً ... حـقّـاً لـقـد عَـظُـمـتْ بِـكَ الأسـفـارُ[3]

ومن مقطعاته العذبة: [من الوافر]

بـحـقِّ الـلَّـهِ دَعْ ظُـلـمَ الـمُـعـنَّـى ... وَمـتّـعْـهُ كـمـا يَـهْـوَى بِـأُنْـسِـكْ
وكُـفَّ الـصَّـدَّ يـا مـولايَ عَـمَّـنْ ... بِـيَـوْمِـك رُحْـتَ تَـهْـجُـره وأمْـسِـكْ

ومنها: [من مجزوء الكامل]

قَـالـتْ وَقَـدْ عَـشِـقْـتُـهـمْ ... قَـامـاتَـهُـمْ والأَعـيُـنـا

(١) نَشَا: نَشَأَ: شَبَّ ونما. (٢) يَشَا: يَشاءُ: يُريدُ.
(٣) الأَسْفارُ: الكُتُبُ.